

جماليات التشكيل السردى في رواية 'سرداب الجنة' لإسماعيل حامد

أ. شهيرة برباري

جامعة محمد خيضر- بسكرة-الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018-12-21 تاريخ القبول: 2019-04-15 تاريخ النشر: 2019-05-15

الملخص:

يحاول البحث مقارنة رواية (سرداب الجنة) لإسماعيل حامد، مقارنة جمالية تركز على عناصر تشكيله من لغة وشخصيات وزمان ومكان، وتنظر في أبعادها البنائية والدلالية والجمالية، كما يحاول البحث النظر في تجليات صورة المرأة بوصفها محور مضمون الرواية من خلال كشف علاقاتها بالعناصر التشكيلية للنص السردى، وارتباطها بالواقع.

الكلمات المفتاحية: سرداب الجنة، الرواية، التشكيل السردى، جماليات.

Abstract

This study try to approach the novel (The cellar paradise) by 'Ismail Hammed' to the aesthetics approach focused on the constitutional elements through. The language, characters, time, and places and to look attentively at its structural dimensions semantics, aesthetics, and this study attempt to scrutinize.

The manifestation of the woman forms which represent the novel content through her relevance with the constitutional elements of the narrative text and its relations with the reality, without taking entire attention on the religions side, which has its experts.

Keywords: The cellar paradise, the novel, narrative formation, the aesthetics.

تمهيد:

كثيرا ما يكون حديثنا عن الأدب أنه تعبير عن الحياة والمجتمع وتصوير لهما في شتى الجوانب، كيف لا وهو يضطلع بمهمة التعبير والتصوير؛ فهو نسق تعبيرى وفنى له خصائصه ومقوماته التي يكتسبها من ظروفه المحيطة به، لذا علينا التعامل معه وفق هذه الخصائص والمقومات لا باعتباره إنتاجا جامدا، ما يدفعنا إلى القول بانفتاح الأدب على عوالم واقعية ومتمخيلة، داخلية وخارجية عديدة.

وتبدو الرواية - بوصفها جنسا أدبيا - بأنها النوع الذي لا بد منه؛ كونه فنا أدبيا ديمقراطيا فذا في أشكاله، هو فن الخروج عبر الذات إلى العالم الأوسع المتمثل في شرائح أخرى من البشر للعيش بينهم ومعهم، ومحاورتهم في واقع اجتماعي تاريخي يضم في جوهره التوق إلى الحرية والتقدم والجمال دون أن يستطيع ذلك.¹

لذا فإن الاحتفاء بالرواية في شكل من أشكاله هو احتفاء بالحرية، احتفاء بالحقيقة المغيبة واحتفاء بالبشر على هذه الأرض وهم يكتبون تاريخ روحهم وكل ما يمس هذه الروح إنسانيا واجتماعيا وثقافيا ومعرفيا؛ لأن الرواية في وقت يهتمش فيه كل جهد خلاق تغدو المرجع الأكثر دلالة واتساعا يتتبع سيرة الإنسان ومسيرته، والمدى الذي وصلته تأملاته وأشواقه ومعارفه التي تبدأ بعتبة البيت أو ما دونها وصولا إلى أكثر قضاياها الفلسفية تعقيدا.²

هكذا حملت الرواية هموم وتأملات ورؤى وتفاصيل حياة المجتمع بكل تقسيماته العمودية والأفقية، بكل طبقاته، بكل مؤسساته وبيئاته وشوارعه، كيف لا وقد فتحت يديها لاحتضان وتلقف كل ما يدور في جنبات هذه الأمكنة وغيرها، بأزمته وشخصها بالوقوف عندها واقعا أو تجاوزها جرأة وخيالا يحمل عالما مثاليا أو تكميليا لما لم يكن واقعا؛ فهي تترجم طموحات وآمال الواقع والمستقبل كما يراه أن يكون، ولرحابتها فقد احتضنت الإنسان؛ وكان الرجل والمرأة جوهرها لما بما يحملان من رؤى ومواقف ولدت خطابات مختلفة الحمول (اجتماعية، ثقافية، سياسية...) شكلت بأبعادها الواقعية والفلسفية تضاريس الرواية شكلا ومضمونا.

- بين يدي النص:

رواية (سرداب الجنة) للمبدع الشاب "إسماعيل حامد" رواية واقعية استلهمت الحضور الأنثوي في المجتمع المصري بأسلوب تصويري بارع، حمل في تضاعيفه تسليط الضوء على مرحلة مهمة من حياة المرأة العربية بشكل عام، وهي مرحلة الدراسة الجامعية بما تحمله من خصوصية وحساسية؛ تعكس اتجاه الحياة العلمية والعملية، كما تحدد دور المرأة في المجتمع، وقد تركزت الرواية على الجوانب الفكرية والعاطفية والنفسية للمرأة في هذه المرحلة، فلا مناص لنا في هذه الدراسة من جعلها تتركز وتتركز على تتبع حضور المرأة واستجلاء صورتها في ارتباطها بالواقع، وعلاقاتها بمكوناته، محاولين من خلال ذلك مقارنة هذه العلاقات مقارنةً فنية لعناصر البناء السردى تشكيلاً، وجمالياً.

1- صورة المرأة والواقع:

تحتل المرأة في الرواية العربية مساحة كبيرة ومؤثرة في حركية النص، وتمثل أحياناً الدافع الأقوى لدى السارد كي يمارس فعله؛ ولذلك فإن التعرف إلى طبيعة وجودها أساس مهم من الأسس الموضوعية والفنية للرواية، ولا تخلو الإشكالية من عملية موازنة فنية تحدث من طبيعة هذا الوجود، والعالم الخارجي والداخلي الذي تمثله الرواية بشكل عام، وتمثله كل شخصية أو فعل ينتمي إليها بشكل خاص، هذه الموازنة تكمن في طبقة الرواية ثم تتضح في طبيعة الأحداث والشخصيات، وتقدم آلياتها خلال مجموعة الإمكانيات السردية التي تتحدد في النص.³

والرواية التي بين أيدينا "سرداب الجنة" واقعية اجتماعية بامتياز، تركزت خطوط الطول والعرض فيها على المرأة في بعض جوانبها الاجتماعية المنفتحة على أبعاد نفسية وفكرية...، وسنحاول بدورنا التركيز على هذه الشخصية وصورتها.

فإذا كانت الرواية خطاب الواقع الاجتماعي فإن النتيجة الموضوعية هي أن كل جزء وعنصر فيه يحمل بعداً اجتماعياً، لذلك كانت الشخصيات الروائية عناصر محملة بهموم الإنسان بمختلف وضعياته الاجتماعية وحالاته النفسية ومواقفه الفكرية، ولعل أفضل مثال على ذلك المكانة

التي احتلتها المرأة داخل الخطاب السردى؛ فهي شخصية روائية مهمة ومقياس للفصل أو الوصل بين مجريات الحياة الاجتماعية والضرورة الإبداعية.⁴

ودراسة المرأة في أبعادها الاجتماعية تفرض علينا تقصي حالاتها وتحولاتها داخل الصيرورة الإبداعية، سواء تلك التي تنتجها المرأة ككائن حي وفاعل في المجتمع ومنتج للخطاب، أو تلك التي ينتجها الرجل ككائن حي وفاعل في المجتمع له خاصيته المتحركة في رؤيته وطبيعة الخطاب الذي ينتجه.⁵

وبالعودة إلى رواية 'سرداب الجنة' التي نحاول في قراءتها إبراز صورة المرأة الحاضرة شخصية لها دورها الخاص في تشكيل واقع الصورة الاجتماعية التي تحتلها داخل مضمون الرواية؛ هذه الشخصية التي تتعدد في صور وأوضاع مختلفة (الأم العاملة، الأخت المثقفة،...)، وتبرز أساسا في صورة 'الفتاة الجامعية' التي تحتل الدور الرئيس والمحور الذي تدور حوله الأحداث وتحرك به ومعه ولأجله الشخص.

وهي صورة تنظر في جانب كبير الأهمية، ومرحلة مهمة من مراحل حياة المرأة المتعلمة ذات مركزية في حياتها بكل تمفصلاتها، إنها مرحلة الدراسة الجامعية، وقلها وجدنا اهتماما بهذا الجانب الذي يرصد ويتبع حياة، اهتمامات، هموم، وأهداف 'الفتاة الجامعية' والتي تشترك فيها كل من حملت هذا اللقب، اضطلعت بمهمة كشفها ببعض تفصيلاتها وأسرارها الطالبة الجامعية "نور" بطلتنا في رواية 'سرداب الجنة' التي نحاول من خلالها سبر أغوار هذه الشخصية في صورتها هذه متبعين ملامح وتقاسيم تلك الاهتمامات والهموم والأهداف التي ارتبطت بهذه الصورة التي تنفتح على الواقع المعاصر للمثقفة العربية أو تحديدا "فتاة الجامعة"، بالبحث في استجلاء المفارقة بين طموح الداخل والمتخيل وحقيقة الواقع محاولين في ذلك استنباط نفسية الفتاة الجامعية في صورتها الكلية بدءا بإبراز ما يتعلق بها من قضايا من خلال سماتها ومواقفها ومعاناتها.

في زمن انفتح فيه العالم على العلم والثقافة والتحرر والالتقاء الحضاري الذي مس المرأة العربية في جوانب غير قليلة، هذا الزمن الذي كثرت فيه الاهتمامات والهموم ودواعيها، وتنوعت فيه أسباب التأثير على النفسية الأنثوية سلبا وإيجابا.

وإن كثيرا من الفتيات تظن أن همومها تنتهي بمجرد قبولها في إحدى الكليات وحصولها على لقب "الجامعية" فتملك العالم بما حوى بهذا اللقب، لكن سرعان ما يتبخر هذا الوهم بعد مزاولة الحياة الجامعية؛ حيث تنشأ هموم واهتمامات وغايات أخرى تبعا للمرحلة الجديدة التي أصبحت تعيشها، والتي تحتاج فيها إلى متطلبات أخرى غير ما كانت تحتاجه وتسعى إليه في مراحل سبقت.

هكذا يبدو الأمر، ونلح مثل ذلك عند "نور" حين تقول معرفة بنفسها: «أنا (نور) ... (نور توفيق) فتاة صغيرة ما زالت لا تعرف الكثير عن الحياة ولكن الحياة أرادت أن تفتحها مباشرة. لم أكن قد تجاوزت التاسعة عشرة حتى بدأ كل شيء وبمنتهى السرعة...»⁶، وهكذا أيضا تبدو "نور" الفتاة الصغيرة التي ما زالت لا تعرف الكثير عن الحياة، فدل وصفها (صغيرة) على عدم النضج وصعوبة المرحلة وكبر المسؤولية وغموض الآتي، بهذا بدأت "نور" سرد حكايتها التي نحاول البحث في طياتها عن ملامح وسمات فتاة الجامعة ورصد همومها وأهدافها وأحلامها بالاعتماد على مضمون الرواية وبنيتها اللغوية وملاحظاتها الجمالية لتتحدد القراءة وفق هذه المحاور بهدف استجلاء الأبعاد الواقعية الاجتماعية والنفسية لهذه الشخصية في صورتها هذه.

تكاد أحلام وهموم "الفتاة الجامعية" تتلخص وتتركز على حلم الحرية التي تمنحها الحياة الجامعية بشكل أو بآخر، كيف لا والاحتكام في ذلك يرجع على تحرير النفس وتركها والخضوع لرغباتها، وارتبط بذلك ضرورة بقاء حب الحياة، الجمال، الطموح...، تقول "نور": «أنا فتاة عاشقة للحياة بكل ما تعنيه الكلمة.. أعشق الحب.. أعشق الحرية.. أعشق الجمال...»⁷، وصغر السن يغذي هذا النهم بالحياة وغاية اكتشافها مما يوحي بالنقص الذي يحتاج إلى تعويض أو اكتمال تبحث عنه في الجامعة: «أعيش في أسرة سعيدة نسبيا»⁸؛ هذه النسبية - في نظرها- دفعت بها إلى السعي والبحث عن الكمال في الحياة في جانب العلاقات الاجتماعية التي دلت عليها لفظة (أسرة)، ويتحدد هذا الكمال في السعادة من خلال التركيز على اهتمامات تحاول بها تعديل هذه النسبية.

وقد تمفصلت وتنوعت هذه الاهتمامات حتى غدت هموما للفتاة في ظل زخم الرؤى والاتجاهات ومحاولة إثبات الذات، منها الموضة، الجمال والأناقة، الأفلام، قراءة الروايات، الكتابة، السهر...، وفي المقابل كره الدراسة، النسيمة والثرثرة، الإشاعات، النوم....

هكذا جمعت بين المتناقضات بين حب وكره لتعيش في عالم رسمت حدوده واصطنعته لنفسها بحيث لا تريد الفكك منه؛ ملامحه الوحدة، الانغلاق، الاندفاع، الالهدف، الارتباك، عدم المسؤولية، التسرع...، وفي مقابل ذلك حب الحياة، الأمل، الطموح، التفاؤل، الحلم...

وما يوحى بذلك نصوص متفرقة في الرواية دلت على تشتت هذه الشخصية بين تعدد الاهتمامات التي حاولنا الجمع بين أطرافها لإظهار ملامحها، من ذلك قولها: «أنا منغلقة نسبيا فليس لي صديقات كباقي الفتيات»⁹، ثم: «قلت إنني منغلقة ولكن ليس إلى حد الجمود. أجلس بين الفتيات في ساحة الكلية نتكلم نضحك، يأخذنا الحديث ولكن لا يوجد شيء مفيد...» كم تسبب الثثرة من الصداق الذي لا يزول إلا بالابتعاد... أحب الأناقة.. أهتم بكل صغيرة وكبيرة في حياتي.. أريد أن أمشي في الطرقات أتفحص الناس في خبث. شخصيتي قوية -نوعا ما- أهتم بأحدث خطوط الموضة»¹⁰؛ حيث تتخط الشخصية بين الانغلاق والانفتاح، بين حب الكلام والضحك والابتعاد عنه والصمت، بين الوحدة والاجتماعية، بين قوة الشخصية وضعفها، مما يوحى بملاح التفكك بين الداخل والخارج في تشكّل الشخصية؛ وهذا ربما ما يميز 'فتيات الجامعة' عن غيرها على اختلاف بينهن في مقياس الحب والكره للأشياء مما قد يصل إلى حد التناقض، وهو بذلك يبقى عنصر اشتراك في ملاح الشخصية المتفككة.

2- تشظي الزمن ودلالاته:

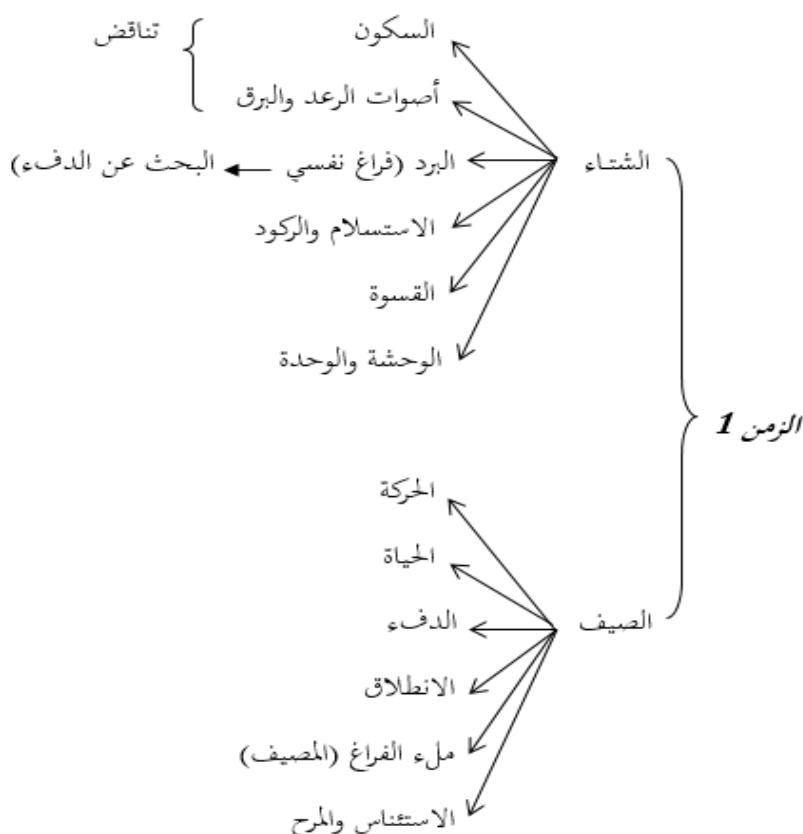
لقد أسهم الفضاء الزمني والمكاني في تكوين ملاح هذه الشخصية أو انعكس عليها بشكل طبيعي تحت مفهوم التأثير، وفي رسم تقاسيم هذا العالم.

ويشكل الزمن المكون الفني الأهم في الرواية خاصة في ارتباطها بالواقع، والزمن يؤطر مراحل حياة الإنسان، فكل حركة وكل سكون لها ارتباط بالزمن.

والزمن في الرواية يظهر في كل العناصر البنائية لها، من شخصيات وأحداث وأمكنة حيث تتحرك كلها في زمن، الذي قد تجري الأحداث فيه وفق تسلسلها المنطقي بشكل تصاعدي أو تنازلي، "على أن استجابة النص الروائي لهذا التسلسل المنطقي الطبيعي في عرض الأحداث حالة افتراضية أكثر مما هي واقعية؛ لأن تلك المتواليات الحكائية قد تبعد كثيرا أو قليلا عن المجرى

الخطي للسرد؛ فهي تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثاً تكون قد حصلت في الماضي، أو على العكس من ذلك تقفز إلى الأمام لتستشرف ما هو آت أو متوقع من الأحداث، وفي كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية توقف استرسال الحكى المتنامي، وتفسح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محور السرد"¹¹، ومما لا شك فيه ان لهذه المفارقات بما تحويه من تداخل وتشط للزمن، تأثير في سير الأحداث من حيث ارتباطها بالواقع، وتأثير على الشخصيات في بعدها النفسي من حيث ارتباطها بالأحداث والمكان.

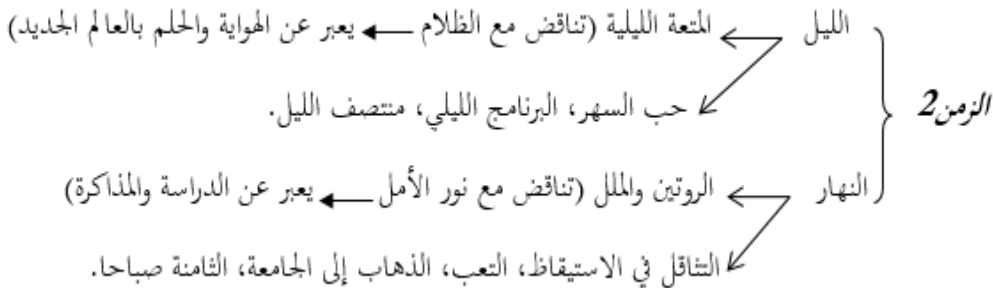
وقد شكل الاستبطان الداخلي والتأثر البيئي ركيزتان متداخلتان ومتفاعلتان وبين الداخل (البعد النفسي) والخارج (البعد الاجتماعي) نتج لنا هذا النموذج من شخصية الأنثى في صورة 'فتاة الجامعة'، يبدو ذلك كما يأتي:



ومن النصوص التي تشير إلى ذلك في قول "نور": « كم أعشق الصيف لأنني أشعر أن الصيف هو الحياة والمرح واللعب والانتعاش.. وأن الشتاء هو الركود والاستسلام، ناهيك عن البرد القارس في شهر يناير.. كم كانت أياما قاسية وليالي موحشة.. إذن سيأتي الصيف بحركته»¹²، كما عبرت عن ذلك بقولها: «إنه الصيف.. العدو التقليدي للشتاء»¹³؛ فالعداوة والتناقض بين الشتاء والصيف هو التناقض بين دلالة الشتاء (الدراسة، الروتين، عدم الاستقرار، الكره)، ودلالة الصيف (الراحة، المصيف، الأحلام، الحب).

مع الإشارة إلى إلغاء فصل الربيع: « يبدو أننا نودع الشتاء (...) أيام قليلة ويبدأ التوقيت الصيفي»¹⁴؛ دلالة على تداخل الأزمان وتغير ترتيبها ما يوحي بتداخل المشاعر والجمع بين المتناقضات دون مراعاة مبدأ الترتيب والتتابع فيها، كما يوحي بالتسرع والعجلة والاندفاع العاطفي والفكري سعيا لتحقيق الأهداف، بالتالي ضيق دائرة الاهتمام بالأمور والأشياء أو إلغائها وفق ما يخدم النفس ويرتبط بهذه الأهداف.

كما شكل الليل والنهار محورين للزمن تبعا للدلالات السابقة:

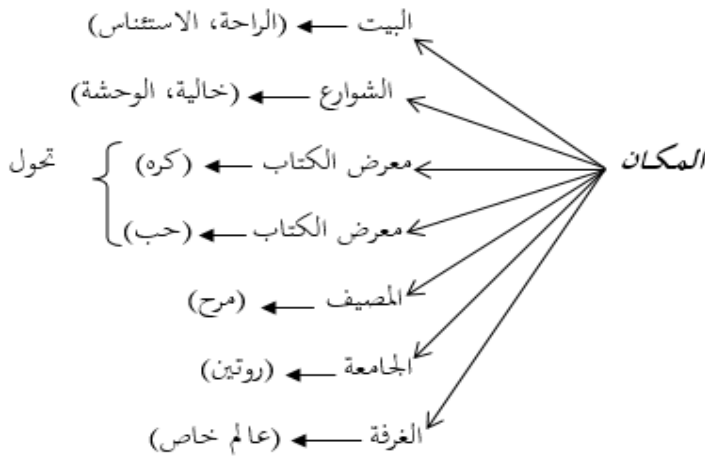


يؤحي ذلك بتغير مفهوم الزمن بين الليل والنهار عند فتاة الجامعة بين الراحة والنشاط إلى المتعة والروتين، ويبدو أن ذلك يعكس الواقع الذي تعيشه الفتاة الجامعية بشكل عام على اختلاف الاهتمامات بين الإيجابية والسلبية في استغلال الليل والنهار وفي الحالتين يشكل هذا التداخل الزمني مثيرا نفسيا تتراوح استجابته بين حسن تنظيم الوقت والأولويات والانفلات والضياع وتحدد نتيجته في تكوين الشخصية في أحد جزئياتها، وقد يشكل ذلك أحد همومها التي نحن بصدد رصدها من خلال استقراء الخطاب الذي بين أيدينا في ناحيته الواقعية الاجتماعية والنفسية بصورة أعمق.

3- المكان بين التعدد والتداخل:

إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه؛ فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان؛ حيث إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، ومن هنا ندرك ترابط الزمان والمكان فالمكان ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ، وأسلوب تقديم الأشياء هو الوصف، بينما يرتبط الزمن بالأفعال.¹⁵

أما عن المكان في رواية "سرداب الجنة" فقد كان له دوره هو الآخر بالموازاة مع قراءة الزمن، ونلح ذلك في الإشارات الدالة عليه داخل النص الروائي، والتي نلخصها كالآتي:

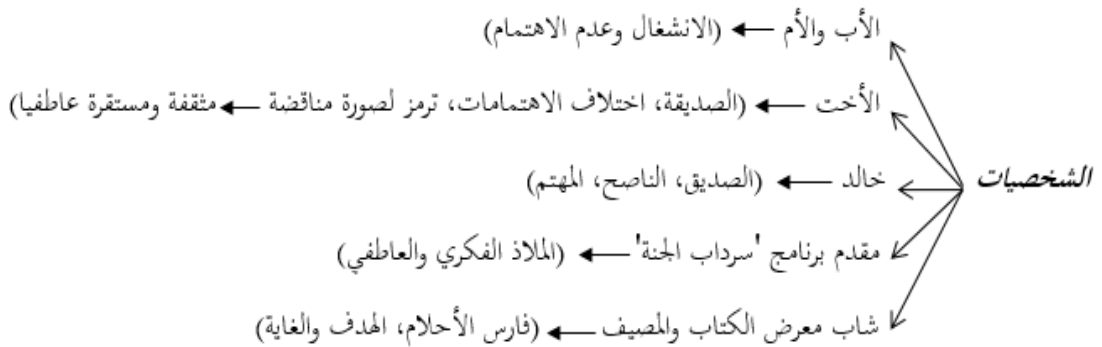


وبين الانفتاح والانغلاق في هذه الأمكنة تبدو الشخصية متذبذبة بين الانفتاح الذي يوحى ويدل عليه (المرح، الحب، الراحة، الاستئناس) والانغلاق الذي يوحى ويدل عليه (الوحشة، الروتين، الوحدة، الكره، الراحة)؛ وفي ذلك إشارة إلى أن الارتباط بالمكان يتراوح بين التوافق والتنافر والتوازي في الوصف تبعاً للجانب التأثيري، ونكتفي من ذلك بالإشارة إلى دلالة الغرفة: «تسللت مسرعة إلى غرفتي لأغلق بابها جيداً خلفي»¹⁶، «رأسي تعتصر في التفكير (...) قطعت حبل أفكار طرقات باب الغرفة»¹⁷؛ حيث تبدو الغرفة مكاناً مغلقاً محدود الحيز فوافقته دلالة

الانغلاق والوحدة، كما نافرتة دلالة الراحة والعيش في عالم خاص متخيل عبر عن الانفتاح والاحدود الذي دلت عليه لفظة وفكرة التفكير التي توجي بالانطلاق، كما يوجي هذا التناقض بالاضطراب وعدم التوازن داخل النفس، فأضفى أسلوب المفارقة هذا ملمحا جماليا في حسن الجمع بين الانفتاح الانغلاق مكانا، وبين الانفتاح والانغلاق دلالة، ما ساهم في نقل المتلقي إلى فضاء مكاني مزدحم بالأمكنة التي تشكلت معها ملامح الشخصية في جانبها النفسي الذي يجتمع فيه الانغلاق والوحشة مع الانفتاح والاستثناس.

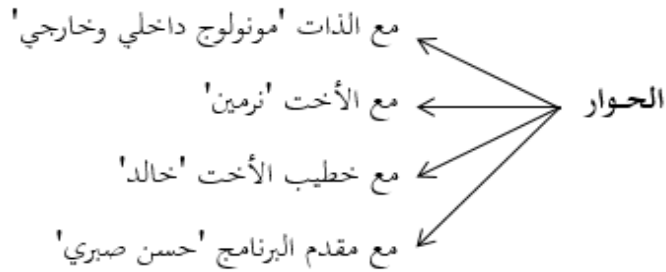
4- الشخصيات وأبعادها الدلالية:

هذه الملامح التي كان لتعدد الشخصيات دور في إبرازها وإظهار أبعادها النفسية والاجتماعية من خلال علاقتها معها على اختلافها من جهة، وتأثيرها فيها من خلال ما تميزت به من ملامح كل على حدة:



هذه الأوضاع المتعددة التي ظهرت بها الشخصيات بكل تفاصيلها، وهذا الاختلاف في التأثير الإيجابي والسلبي الداخلي والخارجي، كان له الدور الخاص في تشكيل واقع الصورة الاجتماعية والنفسية لفتاة الجامعة؛ ويندرج هذا ضمن تأثير المجتمع الذي يسعى الخطاب الروائي استنباط نفسيته اتجاه تلك الصورة، في إشارة إلى توافق هذه الصورة -من خلال هذا التأثير- مع الواقع في كثير من الأحيان.

كل ذلك يتزاحم داخل العالم الداخلي والخارجي تأثرا وتفكيراً، هذا من جهة ومن جهة ثانية انعكس ذلك على نصوص الحوار مع هذه الشخص على اختلاف فكرها وروحها ما غدى ازدحام فضاءات الزمان والمكان والشخص ازدحام الأفكار والشعور والعواطف؛ ما أنتج صورة نفسية متذبذبة وغير مستقرة في البعدين النفسي والاجتماعي.



إضافة إلى أن كل هذه الخطابات المتداخلة أثرت على بنية الرواية في هيكلتها ولغتها وأسلوبها؛ فتداخل السرد التفصيلي مع الحوار مع الخواطر مع حديث النفس، في أسلوب بارع يتلاعب باللغة ويسبر أغوارها الإبداعية في قالب جمالي رسم خارطة اهتزازات لدى المتلقي الذي وجد نفسه أمام قوالب شعرية مليئة بالصور البيانية والبديعية في لغة راقية موحية عميقة، وفي المقابل سرد للوقائع بأسلوب بسيط يقترب من العامة في لغة مفهومة مباشرة سطحية ظاهرة.

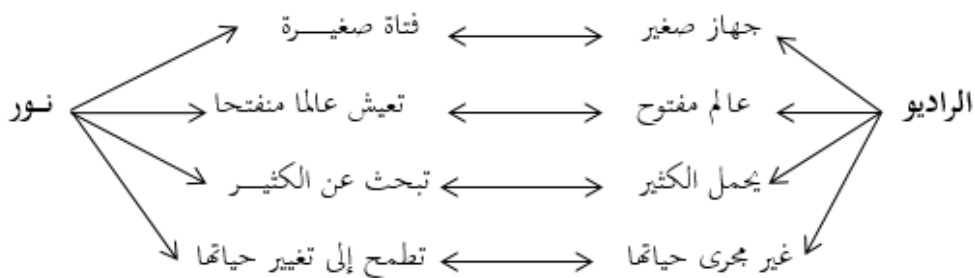
كل ذلك شكل لبنات لهذا العالم الجديد الافتراضي الذي أصبحت تعيشه "نور" بمنأى عن عالم الواقع؛ هذه الحياة الجديدة تنبني على محورين اثنين:

الفراغ النفسي والفكري والعاطفي، والمحور الثاني الهروب في محاولة لملأ هذا الفراغ وذلك عن طريق الهواية التي تميزت بها فتاتنا: «أما عن هوايتي المفضلة قد تعجبون منها وهي حبي الشديد للأشعار وستعجبون أيضاً عندما تعلمون أي نوع من الأشعار التي أفضّلها وكثيراً ما أدونها في مذكراتي.. إنها الأشعار الرومانسية.. قد يسأل سائل: إذن أنت فتاة رومانسية؟.. لا في الحقيقة لا أعرف ولكن هناك شيء بداخلي يدفعني إلى مثل هذه الكتابات.. أوراقي مليئة بالكتابات.. كم أفرغت أقلامى إرضاء لهذا النوع من الخواطر.. التي نقلتني رويدا رويدا لأعيش التجربة»¹⁸؛ في الحقيقة ما نعجب له هو هذا الأسلوب المتردد النخل من الهواية (قد تعجبون، وستعجبون أيضاً)،

أسلوب الاستفهام والنفي (إذن أنت فتاة رومانية؟.. لا) والنقاط الدالة بدورها على هذا التردد وذلك النجل (..)، وكأنها تمهد أو تسوغ لهويتها اعتقاداً بل يقينا منها على ما يحمل هذا النوع من الهويات من أبعاد نفسية وأخرى ظاهرة، وقد أسهم هذا الأسلوب في تأكيد ذلك حيث أدى إلى استفزاز القارئ ولفت انتباهه لما لو كان بغير هذا الأسلوب لكان أمراً عادياً؛ حيث قدمت هويتها في قالب لغوي يوحي بنفسية مرتبكة مترددة (لا، لا أعرف، ولكن).

وما غذى هذه الهوية هواية الاستماع: «أعشق الاستماع.. الاستماع إلى محطات الإذاعة المختلفة وخاصة المحطات الشبابية التي لا تكل ولا تمل من عرض الأغاني الشبابية المختلفة»¹⁹؛ ولقطة الاستماع تدل على التركيز والمعيشة الفعلية لما يسمع وتكرارها أكد الدلالة ونبه إليها ونقل إلى القارئ الشعور بالاهتمام والاستمتاع بذلك، كما شكل الاستماع جانباً تكميلياً للكتابة فقد توزعت الهوية بينهما في إشارة إلى السعي لإشغال وإشباع أكثر من حاسة، خلال محاولة البحث عن سد النقص العاطفي والنفسي أو تعويضه.

فكانت الكتابة وكان الاستماع إلى الراديو: «ذلك الجهاز الصغير... حسناً فلتستعد أذناي ولتبدأ جوارحي سأسمع أحدث الصيحات والآهات.. ما زلت أعالج مفاتيح هذا الجهاز بيدي حتى أقف على إذاعة أغاني شبابية، وبينما أنا على ذلك الحال حدث الشيء الذي غير مجرى حياتي كلها وكان السبب في ذلك أصابع يدي الصغيرة.. التي وقفت عند هذا التردد وهذا البرنامج.. ماذا استهواني لكي أقف عند هذا البرنامج؟ إنه الاسم الذي يحمله.. (سرداب الجنة)»²⁰؛ وحديثها عن الراديو بهذه اللغة الشعرية يوحي بمكانته في حياتها فهو يشبهها إلى حد كبير:



فأصبح بذلك معادلا نفسيا لها، نقلها لتعيش التجربة واقعا كما فعلت الكتابة.

وفي الواقع تعد الكتابة والاستماع (وسائل الإعلام المسموعة والمرئية) بما تبثه من أفكار، عنصرا مؤثرا ودافعا سببيا ماديا معاشا، تمثل دوره في شحن الداخل النفسي المعنوي الذي يعبر عنه؛ حيث أخرجه في قالب الرغبة في الممارسة العملية، التي تركز على عيش التجربة واقعا ببعديه النفسي والاجتماعي؛ فأصبح ملاذا وملجأ فكريا ونفسيا، ويشكل ذلك جوهرها وسمه مشتركة بين كثير ممن حملت لقب 'فتاة الجامعة'؛ فهي تعالج واقعا اجتماعيا يرصد بعض اهتمامات المرأة المتعلمة في صورتها هذه حين حددت أهدافها واتخذت من هواياتها عنصرا بنائيا لشخصيتها التي بدأت تتضح وتستقر ملامحها بواسطة ذلك.

عبرت 'نور' عن ذلك بقولها: «...وبينما أنا على ذلك الحال حدث الشيء الذي غير مجرى حياتي كلها...»²¹؛ فالفتاة في هذه المرحلة تحاول أن تجد لنفسها ما يساعدها ويدفعها لتحقيق ما تصبو إليه خاصة من الناحية النفسية والاجتماعية، ويغير حياتها إلى حياة تليق بهذه المرحلة.

ثم تحاول أن تعيش بالتجربة والواقع ما تهيأت نفسها لتحقيقه وفق هذا الدافع، أين يظهر ويتركز الهم الأكبر لفتاة الجامعة إنه هم 'الحب': « لا أريد أن أقنع نفسي بأنني أبحث عنه في كل مكان.. ولكنها الحقيقة.. داخلي معذب.. كأني إنسان.. ينبض قلبه بالحياة.. أريد الحب.. ولكن أين هو؟»²²؛ هكذا كان تعليقها على عبارات البرنامج الإذاعي 'سرداب الجنة' حين قال مقدمه مجيبا على سؤالها - كيف يأتي الحب؟-: « يأتي الحب بدون سابق إنذار، فلا ميعاد ولا مكان للحب.. الحب موجود.. ولكنه مفقود.. ولكن باب الأمل دوما مفتوح ونحن لا نراه إلا بأعين اليأس.. الحب هو أكسير الحياة.. خياة بلا حب.. كجسد بلا قلب»²³؛ تبدو هذه العبارات والتي سبقتها جملا شعرية مرتبة وفق خط زمني عبرت عنه نقاط الفصل بين جملة وأخرى تليها (..) ما منحها شكلا موسيقيا ورتابة إيقاعية، لو حاولنا تمثيلها لاستقام الأمر:

تقول "نور":

لا أريد أن أقنع نفسي بأنني أبحث عنه في كل مكان..

ولكنها الحقيقة..

داخلى معذب..

كأى إنسان..

ينبض قلبه بالحياة..

أريد الحب.. ولكن أين هو؟

ومثل ذلك قول مقدم البرنامج "حسن صبرى":

يأتى الحب بدون سابق إنذار،

فلا ميعاد ولا مكان للحب..

الحب موجود..

ولكنه مفقود..

ولكن باب الأمل دوما مفتوح ونحن لا نراه إلا بأعين اليأس..

الحب هو إكسير الحياة..

فحياة بلا حب.. كجسد بلا قلب

ويظهر ذلك فى مواضع غير قليلة من الرواية التى بين أيدينا، أما مضمونا فإن هذه الجملة غنية بطاقات شعرية جمالية وتأثيرية هائلة؛ فجاء التقديم والتأخير كتقنية دالة على نفسية فحواها اختلال الشعور داخل "نور" حين عبرت عن هذا الهم (الحب) بضمير الغائب (الهاء فى - عنه-) دلالة على مجهول بدا معلوما بعد جهله (أريد الحب) الذى أخرته، ما زاد من القيمة التعبيرية والجمالية للخطاب خاصة حينما قابل ووازى خطاب المقدم المرتب (الحب موجود.. لكنه مفقود)، فقابل الموجود عنده مجهولها والمفقود معلوما تعزى لدلالة اختلاط المشاعر والأحاسيس لدى فتاتنا فى مواجهتها لما أسميناه هماً أكبر؛ حيث ساهمت الهواية - الاستماع، القراءة والكتابة - كدافع فى جعل 'الحب' أكبر هم وهدف تسعى الفتاة الجامعية للحصول عليه إحساسا وتحقيقه تجربة وواقعا

تقول "نور": « الشيء الذي أكون دوما ضعيفة قصاده.. إنه هو الشيء الذي نبحث عنه جميعا.. نعم الإجابة الصحيحة.. إنه (الحب).. أنا أضعف ما أكون إذا ذكرت هذه الكلمة أمامي. تلك الكلمة التي ترق أذناي لسماعها.. إذا رأيته في كتاب ما أو رواية ما تعامل معها قلبي بدقاته المتتالية. ولكنني قهرت قلبي الحائر وأرغمته على كتابتها وتحمل هذا العناء من أجل إرضاء هوايتي المفضلة»²⁴؛ في الحقيقة هو إرضاء للنفس من خلال استحضار شعارات يرددها برنامج 'السرداب' من جهة ومن جهة أخرى التواصل مع هذا البرنامج اليومي عبر أسئلة وأجوبة ومشاركات وتفاعل يستفز ويثير مكامن النفس أو الذات العاطفية وييث فيها روح المغامرة والبحث في الواقع عما يقابل ويرضي هذه المكامن.

وفي ذلك إشارة غير قليلة الأهمية عن الدور التعبوي والتأثيري الفعال الذي تلعبه وسائل الإعلام في بناء الشخصية والتأثير فيها في شتى جوانبها الفكرية والمعرفية والنفسية والعاطفية... بشكل عام، وفي الشخصية الأنثوية في هذا الجانب تحديدا وفق نموذج وصورة 'فتاة الجامعة' تبعا لدلالات الخطاب الروائي الذي بين أيدينا؛ الذي يحكي واقعا اجتماعيا ونفسيا يبدو ضيقا في طرحة يتسع باتساع أفق القراءة التي تمنحها خطابا مركبا من لغة شعرية وشاعرية ذات ملامح جمالية حددها البعد البنائي والتصويري للغة مثل: (قهرت قلبي الحائر، أرغمته، تحمل عناء) حيث جاءت هذه الاستعارات الراقية ذات القدرة التعبيرية التي شخصت القلم ومنحته روحا امتزجت بها ذات "نور" دلالة على تخطيطها بين الداخل والخارج الذي تجسد في القلم ما أكسب الخطاب ملمحا جماليا.

وأخرى تأثيرية حددها البعد النفسي للشخصية التي قدمت معاناتها في خطابات تتراوح بين الإحساس والهدف والبحث والتساؤل: « كيف لي أن أبحث عن شيء مجهول؟.. لم أحسه من قبل.. لا أعرف معاملة.. أجهل صفاته تماما.. إذن فلا بد من السؤال والاستفسار»²⁵؛ فتصبح الفتاة تتخبط ضمن هذا السؤال الذي يجر أسئلة وأسئلة تعظم بوجود الجواب بارتباطه بشخص بعينه الذي بظهوره تغدو شخصية "نور" متفككة، وكونها تركيب داخلي نفسي تستنبطه الكتابة تميز

الأسلوب بالتفكك والارتباك، ليعكس تشاكلا بين المتخيل والواقعي في معاناة فتاة الجامعة اتجاه هذا الهم.

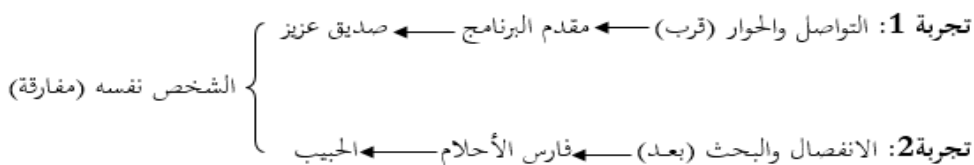
ففتح لنا عدة خطابات متداخلة متراكبة تراوحت بين الحوار (الداخلي والخارجي) والسرد التفصيلي للأحداث يوحي ويدل على المفارقة بين طموح الداخل والمتخيل وحقيقة الواقع عن طريق التكثيف اللغوي والتصوير في الوصف الداخلي والخارجي؛ نقلت معها المتلقي إلى هذا الزخم من الأفكار والأحاسيس المتتابعة وغير المتتابعة أضفت لمسة من التشويق ونزعة من التفاعل مع الشخصية حين تغدو «تقنية كتابية يلتقط الكاتب معها التحولات الحادة التي يتركها الواقع»²⁶؛ حيث تتكى الشخصية على طبيعة الكتابة الشعرية والشاعرية، يظهر ذلك حين تنتقل "نور" إلى التجربة الواقعية التي بدأت باللقاء الأول في معرض الكتاب - الذي ذهبت إليه مرغمة-: «... كنت في عالم آخر بعيدا عن كل الناس.. ماذا هناك؟.. لقد كانت البداية»²⁷؛ انتقلت بذلك بين عوالم ثلاث الأول واقع ممل والثاني متخيل ممتع لكنه مضطرب والثالث واقع بعيد عن الناس منتظر لكنه غامض.

تقول عنه: « رأيت فتسمرت عيناى لدقائق ملحوظة.. تجمدت شفتاى.. وقف الكلام في حلقي فشل لسانى.. وهمدت جوارحى إلا واحدة.. إنه قلبي الذي انفطر من كثرة الضربات والاضطرابات. أشعر بتغير كامل يحتاجني ويعصف بوجداني...»²⁸؛ فتداخلت المشاعر وانعكست على الشخصية التي أصبحت شاردة مضطربة: «أنا في حالة يرثى لها.. عقلي يكاد ينفجر...» أريد أن أبكى.. أريد أن أصرخ بقوة.. أزعم أنني لو صرخت بكل ما أوتيت من قوة فلن يسمعي أحد.. أشعر أنني سقطت في بئر عميق مظلم موحش.. إنه بئر العذاب...»²⁹، ومع هذا الاضطراب تميزت اللغة بملح شعري متميز فحين وقف الكلام نتج كلام، يحمل شحنة تعبيرية شعرية متميزة تضع المتلقي في صورة المعاناة بهذا التصوير البارع.

هكذا أصبح العالم مركزا على هذه الكلمة 'الحب' فأصبح شغلها الشاغل وهما الوحيد في الحياة إنه أصل ومدار الهموم والتخبطات التي لن تنتهي ما دامت الحياة لم تنته.³⁰

«أنا فعلا الآن في قمة الشقاء.. القدر يقلبني بين كفيه بلا هوادة.. لا يأبه بضعفي وذلي.. يصفعني على وجهي الضعيف ولا يبالي.. أقطر دما ولا يهتز لاهتزازي.»³¹؛ وهنا تنقلنا إلى معاشة معانها حينما شخصت القدر في صورة استعارية تحول معها القدر إلى وحش كاسر يقلب ويصفع بصيغة المضارع التي تفيد استمرار وتواصل المعاناة والشقاء، ما أسهم فيث شحنة جمالية وأخرى نفسية، توحى بأن التجربة الواقعية إذا لم تثمر كما كان يطمح ويتخيل لها تحول الأمل إلى ألم والسعادة إلى تعاسة كيف لا وقد تحول الحب إلى حرمان: «فهو حب ناقص غير مكتمل لأن الطرف الآخر قد اختفى.. أظنه اختفى للأبد..»³²

وبعد أن تجد فتاة الجامعة الشخص المناسب تبحث عنه، تلتقيه صدفة، بل صدفا متتابعة: «... وبينما أنا على هذا الحال كانت المفاجأة الكبرى.. المفاجأة التي جعلتني أسقط هاتفي المحمول من يدي ليقع على الأرض في منتهى القسوة "لقد رأيته نعم رأيته"»³³، ثم مرة ثانية: «ويا لمرارة القدر!.. أراه ثانية ليزداد الشوق من جديد بعد أن صرت رمادا.. ما أقسك أيها القدر!..»³⁴، وأخرى ثالثة: «... وبينما أنا على هذا الحال أتيه في بحر الأفكار الذي ليست له نهاية حدث المفاجأة.. وكانت الضربة القاضية (...) لا أصدق نفسي.. أراه للمرة الثالثة...»³⁵، ثم أخيرا: «وجدت شيئا ما تحت المنضدة يبدو أنه سقط منه دون أن يشعر فالتقطته ويا ليتني لم أفعل..»³⁶ كانت هذه الكلمات مكتوبة على كارت شخصي.. حسن صبري.. مقدم برنامج سرداب الجنة.. هاتف: «...»³⁶؛ لخصت هذه النصوص تجربة الواقع مع شخص الواقع الذي قام حوله ولأجله العالم الداخلي والخارجي، العالم الخاص العام، التجربة التي تجسدت بالانتقال بين هذه العوالم، فكانت المفارقة:



وفي ذلك تشظى الواقع بين المتخيل المأمول والنموذج الواقعي (قصة الأخت وخطيها التي تمثل الاستقرار والوجه الحقيقي للسعادة)، ومحاولة تجسيد وتحقيق هذا المتخيل وذلك النموذج عن

طريق التجربة التي تشظت بدورها إلى تجربة المتخيل مع نموذج يبعث على الطموح والأمل (البرنامج والتواصل معه الذي شكل عاملاً ودافعاً نفسياً)، نتجت عنه متعة معاشة العالم الخاص الذي يدل على شفافية الغاية ووضوح المستقبل ويتلخص في السعادة، وتجربة النموذج الواقعي بتحقيقه على أرض الواقع (بحث ولقاء وشعور حقيقي مرتبط بشخص بعينه)، نتج عنه لا متوقع ترجمته صعوبة الأمر واختلاط المشاعر التي تدل على ضبابية الغاية وغموض المستقبل الذي يتلخص في التعاسة.

يبدو جاهلاً من ينكر قيمة الحب في الحياة؛ فهو إحساس مرهف يسكن أسفل أعماق الإنسان، ويتراعى في علاقاته الاجتماعية في الأسرة وغيرها، ولما شاع بين الناس خبر قيمته راحوا يطلبونه بكل طريق، فليس الحب معيباً في ذاته وإنما اللهث في طلبه بغير طريقه.

ونحن نبحث عن ملامح صورة فتاة الجامعة يبرز ضرورة هم الدراسة والمذاكرة والنجاح العلمي، الذي شغل الحيز الأصغر والأقل اهتماماً في دائرة حياة "نور"، ونقف عند نصوص تصف علاقتها بالدراسة في أكثر من موضع في الرواية منها: «... ولكن حيي للمذاكرة لم يصل بعد إلى درجة العشق.. نعم أذاكر دروسي ولكن لإرضاء الضمير المعذب لا غير.. التحقت بكلية التجارة ولكن في الحقيقة لم يكن ذلك هدفي مطلقاً»³⁷؛ أين ستجد مكاناً لهذا الحب وقد أفردت قلبها وعقلها وتركيزها الواحد على جانب واحد، فغدى ما دونه غير مهم وممل كما هو حال الدراسة عندها التي توحى بالرتابة والثقل: «يوم جامعي جديد ربما يكون طويلاً إلى حد ما، ولكني اعتدت على تلك الأيام»³⁸؛ في إشارة إلى الروتين الذي تصفه ببعض التفصيل في قولها: «أسير إلى الجامعة (...) أحضر المحاضرات التي أرتاح فيها إلى ملقيها.. لا يهم أن أفهم كل كلمة ولكن المهم أنني أحاول أن أرضي ضميري المعذب (...) ينتهي يومي الجامعي، وأرجع إلى البيت مع كومة من المذكرات والأوراق التي لا تنتهي ولكنني ألقى جانباً لأتناول غداً وأنام استعداداً للبرنامج اليومي -السهر- متعتي الليلية»³⁹؛ انقلبت الأمور عندها من الاستعداد للدراسة إلى الاستعداد للتسلية واللهو وهذا حال فتاة الجامعة في واقعنا المعاصر وبشكل واسع، حيث تنظر إلى التحصيل العلمي نظرة خوف وكراهية: «...أجلس على مكتبي فتملاً التعاسة والكآبة وجهي عندما

أرى تلك التركة من الأوراق والمذكرات والمحاضرات التي لا بد أن أرثها رغم أنني. كم أكره كلية التجارة.. كم أكره الحسابات.. كم أكره قسم المحاسبة.. ولكنني التحقت به ولا أعرف لماذا؟ (....) عقلي يتشتت ويتعب في حل أزمت الأرقام المتشجرة فأرقام هنا وأرقام هناك.. معادلات ومتباينات.. جداول وأعمدة ورسومات.. ما كل هذه الرموز واللوغاريتمات؟.. لا.. سأجن فعلا إن بقيت في هذه الحال طويلا. وما الذي يجبرني على البقاء؟.. فما زالت الامتحانات بعيدة وما زلنا في بدايات الفصل الدراسي الثاني.. ما زال هناك متسع من الوقت»⁴⁰.

ومن جانب الواقع تشير هذه النصوص مجتمعة إلى عديد المشاكل التي ترتبط بفتاة الجامعة في علاقتها بالدراسة، بدءا بالتخصص الذي غالبا ما يشكل مصدر قلق لديها سواء كان باختيارها أو كان مفروضا عليها فطالما تشكو الجامعية من عدم التوافق بين ميولاتها العلمية والتخصصات المتاحة ما يخلق فجوة كبيرة بينهما تملأها السلبية في التأثر والعطاء، هذا ما أدى إلى ظهور مشكل آخر وهو صعوبة التحصيل الناتجة عن تراكم المواد المعرفية وسوء التعامل معها ما ولد الكره والملل اتجاهها، ما يجعل نظرتها قاصرة ومركزة على الامتحانات التي تتحكم في ترتيب جدول حضورها الدروس وتنظيم وقتها حسب مواعيد هذه الامتحانات، والنظر إلى الدراسة من زاوية الامتحانات فقط دون مراعاة التحصيل والتكوين تفكير محدود وغير مستقبلي، وغيرها من المشاكل التي دفعت فتاة الجامعة إلى البحث عن بدائل تنتشلها من عالم الكآبة والتعاسة المرتبطة أساسا بالجامعة في شقها العلمي والتحصيلي.

وقد عالج هذا الخطاب هذه المشاكل بلغة قريبة من المتلقي في واقعيته بواقعيته، مشاركة له في معانيها ودلالاتها، مثيرة له في أسلوبها وجمالياتها، من ذلك أسلوب التفصيل والتصوير الذي ينقل الصورة بواقعية مع ملح جمالي وشعري، مثل قولها: 'عقلي يتشتت ويتعب في حل أزمت الأرقام المتشجرة'؛ صورة استعارية شخصت الأرقام في حالة شجار وفوضى نقلت من خلالها المعاناة اتجاه التحصيل العلمي، كذلك نجد التكرار في قولها: 'كم أكره' التي تكررت ثلاث مرات مما يوحي بتأكيد هذه الكراهية كما توحى بعمقها الذي أضفته 'كم' الدالة على الكثرة، حيث منح هذا الأسلوب بنية إيقاعية للنص.

وهذا ما يلمسه ويدركه المتلقي في مواضع عديدة من الخطاب الروائي بنصوصه المليئة بالشعرية والأسلوب التصويري البارع والتكثيف اللغوي الذي يظهر غنى الأسلوب بالصور البيانية والبديعة، كما يتجلى هذا التكثيف في التداخل اللغوي الذي يظهر في استخدام اللغة الأجنبية مثل: (You never walk alone, Dite, email) وغيرها، والرموز المختصرة ذات الملمح الشبائي للتواصل (مثل: رمز التواصل مع البرنامج NN)، إضافة إلى ما يشير بالاهتمام بالتكنولوجيا ووسائل الإعلام: الراديو، البريد الإلكتروني، اللاب توب...، مما أثر على البنية التركيبية والبعد الدلالي، وأضفى على النص طابع الغنى والثراء اللغوي والجمالي بتطبيق تقنيات أسلوبية أنتجت معجما جديدا خاصا كان له دوره في إبراز البعد الاجتماعي والنفسي من ناحية المضمون، وتقديما في قالب نصي ذا ملمح شعري بديع، كل ذلك ساهم في إبراز طابع الإبداعية على الخطاب الروائي والتأكيد على وظيفتها الاجتماعية؛ فكان الشكل دالا على المضمون ذلك أن: « الشكل والمضمون شيء واحد داخل الخطاب المعتبر بمثابة ظاهرة اجتماعية: هو اجتماعي في مجموع مجالات وجوده وعناصره، ابتداء من الصورة السمعية ووصولاً إلى التصنيفات الدلالية الأكثر تجريدا»⁴¹؛ ينعكس ذلك في الخطاب الذي بين أيدينا بصورة تكاد تكون متميزة من خلال التداخل اللغوي وازدحام الأفكار في سرد الأحداث وتفصيلاتها والتي أحدثت ارتباكا في طريقة وأسلوب الحكيم الذي يوحى بالتسرع والاضطراب النفسي: « حسنا سأحكي لكم كل شيء»⁴²، « سأخبركم ولكن بعد قليل»⁴³؛ دلالة على تراحم وتداخل الأفكار إلى درجة التناقض تارة تريد بثها دفعة واحدة، وتارة تلمح وتوجل ما أحدث خلافا لدى المتلقي وفي نفس الوقت شكل عنصرا للاتباه والتشويق، ودافعا للمتابعة (قطيعة واتصال ذهني)، ما أضفى تفاوتاً على الشكل اللغوي ومسحة جمالية استفزازية وتأثيرية يستجيب لها المتلقي ويتأثر شكلا باللغة والأسلوب الاستدراجي تركيبا ودلالة وجمالية، ومضمونا بسير خط الحدث في توافقها وتعارضها مع الشخصية.

وبذلك تكتمل زوايا تركيب الشخصية التي تتشكل من خلال الكاتب الذي يقدمها عبر الراوي، والثانية هي الكتابة والثالثة هي الواقع والرابعة هي القارئ⁴⁴؛ والشخصية في هذه الرواية تخضع للكاتب 'الرجل' الذي يكتب عن المرأة انطلاقاً من تصورات الخاصة والمتحررة كما أنه قدم معنى ذاتيا لهذا الشكل أو الصورة الاجتماعية، كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن الرجل داخل هذه

الرواية هو المحرك للمرأة 'فتاة الجامعة' في واقعها (العقل متمثلاً في خالد، القلب متمثلاً في حسن صبرى)، وفي عالمها الخاص (فارس الأحلام).

والشخصية نموذج إنساني واقعي بكل الصفات الجسدية، الخلقية، الفكرية والنفسية؛ فهي ليست متخيلة وإن بدت في بعض الأحيان كتقنية تبحث في حدود رؤية الذات من خلال رؤية الآخر، ورؤية الذات لنفسها.

كما أنها تبث بعض المواقف كحرية المرأة في صورة 'فتاة الجامعة'، من خلال رصد اهتماماتها التي أصبحت تشكل هموما وأهدافاً قائمة بذاتها.

وفي جل تلك الزوايا يكون الكاتب مالكا لمواصفات جاهزة يركب بها شخصه أو بعض شخصه انطلاقاً مما يريده منها ويهدف إليه في روايته، وكثيراً ما تكون تلك المواصفات متحركة بشكل مستقيم في تركيب الشخصية لتمثل دلالة الشخصية منذ بدايتها⁴⁵، وفي هذه الرواية ومنذ البداية تتقدم الأسماء لتقدم عالمها وذاتها.

ويمكن القول إن هذه الرواية رومانسية انجلاء الوهم - كما سمها "باختين"؛ ففي هذا النموذج ينشأ عدم تلاؤم النفس مع الواقع، من أن وعي الفرد الإشكالي هو أكثر اتساعاً ورحابة من جميع المصائر التي يمكن أن تقدمها الحياة له، إن البطل الإشكالي في هذا النموذج يتوفر على عالمه الخاص القائم داخل سريره (....) يجسد وعي الذات بأهميتها والتوجه إلى الإعلاء من شأنها عن طريق التخلي عن الاضطلاع بأي دور داخل بنية العالم الخارجي، إن هزيمة الفرد هي الشرط نفسه لقيام الذاتية، بوصفها قيمة مركزية في العمل الروائي⁴⁶؛ ومع ذلك فرواية 'سرداب الجنة' تجاوزت ذلك إلى مقابلة العالم الخاص بعالم آخر خاص أيضاً في الواقع الذي يخدم السريرة (الغرفة المغلقة والراديو) ليقدم لنا صورة للواقع جديدة ناتجة عن تلاقي السريرة والمتخيل والمأمول وفق الواقع الخاص، وبه ومن خلاله يواجه العالم الخارجي الذي يصبح الدور فيه مركزاً فقط في محاولة تجسيد وتحقيق أو على الأقل مقارنة العالم الخاص.

كما شكلت الرواية نصاً نقدياً يرصد جانباً مهماً من جوانب المرأة 'صورة فتاة الجامعة' بالبحث في بعض جوانب حياتها داخل هذه الصورة، كما أنها سيرة ترصد المسافة بين الواقع والمتخيل من

جهة، وتبرز البعد الاجتماعي والنفسي للمرأة كموضوع، ما أسهم في تمييزها بالجمع بين احترام الحقيقة والخضوع لشعرية الكتابة، والانصياع لبساطة الواقع في لغته من جهة أخرى؛ يكمن ذلك في أنها أضاءت نزوع الواقع وآفاقه من خلال سمات وملاحق فتاة الجامعة في حياتها، كل ذلك داخل زخم من النصوص المتنوعة، المتشكلة والمتداخلة.

الهوامش:

* الكاتب المبدع "إسماعيل حامد" مواليد 1986 المنصورة - مصر، حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة 2009 (جامعة المنصورة) - دراسات عليا في جراحة الأوعية الدموية (جامعة عين شمس) - يعمل حاليا في إحدى المستشفيات التعليمية - كاتب مقالة في مجلة الأطباء (مجلة الحكمة) - كاتب قصصي وروائي - شارك في العديد من المسابقات الأدبية وحصد العديد من الجوائز - شارك في العديد من التجارب الابداعية والكتب الجماعية - له رواية بعنوان (سرداب الجنة) مطبوعة عن دار نشر طنطا بوك هاوس 2012 - له مجموعة قصصية بعنوان (رائحة الشوام) مطبوعة عن دار نشر إبداع بالقاهرة 2013 - له ديوان شعر بعنوان (هكذا أحبك) تحت الطبع، له مشاركات إبداعية عديدة في عدد من الكتب الجماعية، نال عدة جوائز في مسابقات ومهرجانات ثقافية.

¹ - فيصل دراج وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية 'دراسات وشهادات'، دار الفنون، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، 1999م، ص7.

² - المرجع نفسه، ص8.

³ - عبد الحميد بكر: المرأة في الرواية العربية 'بين فعل التمرد وصور القهر الجسدي والنفسي'، عن مجلة الرافد الثقافية،

(http://www.arrafid.ac/arrafid/p7_11-2012.html)

⁴ - محمد معتمد: الخطاب الروائي والقضايا الكبرى "النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة"، الدار البيضاء، المغرب، 1991م، ص16.

⁵ - المرجع نفسه، ص16.

⁶ - إسماعيل حامد: سرداب الجنة (رواية)، طنطا بوك هاوس للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2012م، ص6.

⁷ - المصدر نفسه، ص8.

⁸ - المصدر نفسه، ص6.

⁹ - المصدر نفسه، ص6.

¹⁰ - المصدر نفسه، ص7.

- ¹¹ - ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي "الفضاء- الزمن- الشخصية"، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص119.
- ¹² - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص54.
- ¹³ - المصدر نفسه، ص49.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص54.
- ¹⁵ - محمود أمين العالم: الرواية بين زمنيّتها وزمنها "مقاربة مبدئية عامة"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1993، ص13.
- ¹⁶ - إسماعيل حامد، سرداب الجنة، ص12.
- ¹⁷ - المصدر نفسه، ص18.
- ¹⁸ - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص8.
- ¹⁹ - المصدر نفسه، ص6.
- ²⁰ - المصدر نفسه، ص8.
- ²¹ - المصدر نفسه، ص8.
- ²² - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص19.
- ²³ - المصدر نفسه، ص18.
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص9.
- ²⁵ - المصدر نفسه، ص21.
- ²⁶ - مجموعة من النقاد والباحثين: مكونات الخطاب الروائى فى أعمال عز الدين التازي "دراسات"، طوب بريس، الرباط، المغرب، 2003م، ص123.
- ²⁷ - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص30.
- ²⁸ - المصدر نفسه، ص30.
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص49.
- ³⁰ - ينظر: المصدر نفسه، ص51.
- ³¹ - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص81.
- ³² - المصدر نفسه، ص49.
- ³³ - المصدر نفسه، ص67.
- ³⁴ - المصدر نفسه، ص68.
- ³⁵ - المصدر نفسه، ص95.

- ³⁶ - المصدر نفسه، ص 97.
- ³⁷ - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص 7.
- ³⁸ - المصدر نفسه، ص 7.
- ³⁹ - المصدر نفسه، ص 14.
- ⁴⁰ - المصدر نفسه، ص 15.
- ⁴¹ - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1987م، ص 35.
- ⁴² - إسماعيل حامد: سرداب الجنة، ص 6.
- ⁴³ - المصدر نفسه، ص 7.
- ⁴⁴ - مكونات الخطاب الروائي في أعمال عز الدين التازي، ص 136.
- ⁴⁵ - المرجع نفسه، ص 136.
- ⁴⁶ - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص 13.